

الدرس السابع

تاريخ التشريع الإسلامي

قلنا أنه بعد مقتل سيدنا عثمان ظهر قرن الفتنة وآلت الخلافة إلى سيدنا علي إلا أن معاوية رأى أن البلاد الإسلامية على فوهة بركان وأن هذا البركان لن يهدأ إلا إذا أخذ بثأر سيدنا عثمان وأنه هو الذي يستطيع عمل ذلك وأن الأمر بحاجة إلى حزم لسد باب الفتنة وهذا اجتهاد منه سواء كان مصيباً أو مخطئاً **فنازع** سيدنا علي الخلافة ثم ظهرت فئتان ام يكن لهما وجود من قبل.

وقد كانت الخلافة في الحجاز وما حولها مستقرة لسيدنا علي وكان الرأي أن الأمر لا يستتب إسلامياً إلا بخلافته هو وهذا أيضاً اجتهاد وقد تكون عواطفنا مع سيدنا علي **ولكن** لا بد من القول أن كلاً من الطرفين يريد إحقاق الحق فقد يختلفان ويؤدي إلى ما هو عليه ولكن هذا ليس دليلاً على أن إحدى الفئتين أو كليتهما متآمرتين على الدين بل كلاً منهما مع الدين ولكن قد تخطأ فئة أو أخرى وهذا هو رأي أهل السنة والجماعة آنذاك من هذا التعارض بين العسكريين.

وقلنا أنه ظهرت فئتان م أتباع سيدنا علي الشيعة والخوارج أما الخوارج فقد غلو بالدين غلواً كبيراً فخطوه ثم كفروه وتربصوا به حتى قتلوه.

ولكل فعل ردة فعل فظهرت ردة الفعل في الفئة التي سميت شيعة والذين تشيعوا تشيعاً خرجوا به عن حدود الانتصار لسيدنا علي (عبد الله بن سبأ).

لا نريد الكلام عن الجانب السياسي ولكن **يهمنا** أثر ذلك في التشريع فبظهور هاتين الفئتين اللتين انفصلتا عن جسم الجماعة الإسلامية ظهر الغلو الديني.

❖ فكل فئة قد أخذت مواقف وإن غالت فئة الخوارج أكثر وأخذوا يصدرون اجتهادات خاصة فصلت الخوارج عن الجماعة الإسلامية وأبعدت الشيعة عن الصحابة **وبالتالي** فإن هذه الأحكام لا بد أن يكون لها مستند الأمر الذي دفع الخوارج إلى إيجاد مستندات واهية لا أصل لها فئة منهم تكفر بالكبيرة ثم المعصية بل يخرج من دائرة الإسلام وأيضاً الشيعة بحثوا عن مستندان وأوجدوها.

❖ **انتشار** علماء التشريع إلى الأقصاع التي وصل إليها الفتح الإسلامي بعد أن كانوا بين مكة والمدينة بأمر من أبي بكر وعمر ثم إن سيدنا عثمان رأى أن ينتشروا ليعلموا أهل تلك الأماكن ويرشدوهم فسيدنا عثمان لم يسمح بل أمر بذلك لضرورة الأمر. (عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك في البصرة/ عبد الله بن العاص وعمرو بن العاص في مصر/ أبو موسى الأشعري في بلاد الشام)، الأمر الذي أدى لظهور الخاصة الثالثة.

❖ شيوع رواية الحديث م يعلموا الناس دينهم ويغضوا الوقائع التي ما كانت موجودة على زمان الرسول صلى الله عليه وسلم، الصحابة وكان بعض التلاميذ يجلسون يأخذون الحديث، منهم يحفظ وبعض يكتب على قصاصات لكنها غير مأمونة وهكذا كلما اتسع الفتح أبلغت الحاجة عن مزيد من الرواية، وبالتالي أخذ الناس يروون الأحاديث فذاك يسمع ويحفظ ثم يجلس فيعلمها للناس، الأمر الذي أدى لظهور الخاصة الرابعة.

❖ ظهور دس الأحاديث والكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعوامل هذا الأمر عدم الضبط في رواية الحديث) ولنشرح أسباب دس الأحاديث:

1- الغلو الذي تحدثنا عنه وقد تعصبت كل فئة لما وصلت إليه الأمر وأرادت كل فئة أن تبرر مواقفها ولو على حساب الدين وذلك بوضع الأحاديث الباطلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مثال 1- عبد الله بن هليعة يقول: قال لي شيخ من الخوارج قد تاب (إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون الحديث، فإننا كنا إذا أردنا أمراً صيرناه حديث).

مثال 2- ورد أن جابر الحنفي وهو ممن غالوا في التشيع قال: أنا عندي 50 ألف حديث يرويها ابتداءً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الإمام مسلم نماذج كثيرة من هذا القبيل لأشخاص كانوا يعترفون بهذا الأمر الذي يقدمون عليه.

مثلاً (نفيح) اشتهر بكنيته (أبي داود الأعمى) يقول عنه ابن عبد البر: هو كذاب يضع الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- عشرات م المتسترين بالإسلام من الحاقدين عليه من يهود وزنادقة ومواعدة وجماعة دخلوا ليكيّدوا من الباطن يحضرون مجالس العلم والحديث ثم يخرجون يرونها للناس ويضعون بينها أحاديث باطلة وبمحمد الله قد صنفت هذه الأحاديث وأمسك بعضهم بالجرم المشهود فحوكموا وعوقبوا وقتل منهم من قتل وقد قال كثيرون منهم قبل موتهم ينفسون عن حقدهم: (أين أنتم من الأحاديث التي وضعتها فيكم أحرم الحلال وأحلل الحرام).

3- عامل طريف ناشئ من حسن نية أو لا، ولكنه نشأ مع جهل وغفلة وسذاجة في الطبع والدين، أناس عندهم عواطف إسلامية لم ينضجها العلم والدين أرادوا أن يحفّذوا الناس على التمسك بالإسلام عن طريق الترغيب والترهيب وقدفتهم هذه العواطف إلى أن يضعوا الأحاديث التي تصف الجنة والنار تستثير المخاوف من الله عز وجل في صدور الناس وعن بيان فضل كل

سورة من القرآن (تفسير البيضاوي) هو هدف جيد لكن الطريقة يجب أن تكون مشروعة، سئل أحدهم عن هذا فقال (إنهم يكذبون لرسول الله لا عليه) ولكم لا يوجد في الدين كذبة بيضاء، [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] متواتر، وكذلك نجد في كتب الرقائق ولكن هذه الأحاديث لم تمتزج بالأحاديث الصحيحة وهذه من خوارق الله عز وجل في حفظ الدين.

4- ظهور جماعة القصاصين في أواخر الدور الثالث في العهد الأموي فكانوا يدخلون المساجد ويجمعون الناس حولهم ويروون لهم القصص ويتبارون في جذب الناس ومن يجلس معه أكثر فيروون القصص التي تأخذ بالمشاعر ولكنها ستنتهي فيبتدعون قصص لا أصل لها وقد حذر كثير من العلماء من هذه الفئة وحذروا الجلوس معهم مثل أبي عبد الرحمن السلمي من كبار علماء التصوف ومن المحدثين، هذه الفئة امتدت إلى أواخر العصر العباسي إلا أنه في أواخر العصر الأموي زال خطرهما لأن الأحاديث قد دوت وقواعد مصطلح الحديث قد وصفت وضوابط الرواية وضعت قيد التنفيذ وزال خطر هذه الجماعة.

❖ تجاه هذا الأمر كان لعلماء الشريعة ردود فعل وإجراءات وقائية فقاموا وسرعان ما منعوا رواية الحديث وحصروها إلا في من كان أهلاً لذلك، ابن عباس وابن مسعود يروي مسلم عن بشير بن كعب العدوي أنه دخل على ابن عباس وأخذ يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عباس لا يصغي لحديثه ولا يلتفت له فقال له مالي لا أراك تسمع لي أحدثك عن رسول الله ولا تسمع فقال له: إن كنا إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأطحننا له بأسماعنا فلما ركب الناس في ذلك العنابر والذلول أعرضنا له ولم نعد نأخذ من إلا ما نعرف، إذأ فقد اتخذ العلماء إجراءات تحدد المشكلة وأطرافها وتحصي هؤلاء الذين تصدر عنهم هذه الأقاويل.

❖ الخلاصة: ظهور منهجين من الاستنباط وكان العامل المشترك بينهما أنه بوجود النص يفتون بمقتضاه وإذا لم يوجد أهل الحجاز يعتصمون بـ لا أعلم حتى لا يضعهم الاجتهاد في خطأ والذين في الأقصاع للضرورة يجتهدون فيقيسون، فعلماء الحجاز لم يجدوا حاجة للاجتهاد لأنهم في أرض الوحي حيث الحفاظ والرواة كثر ويملكون من النصوص أكثر مما يملكه الذين في المناطق النائية وأيضاً لأن المشكلات في الحجاز أقل بكثير وأكثرها معلوم.

❖ وقد كان يوج اشمزاز من طريقة علماء العراق فإذا جاء أحدهم من العراق إلى الحجاز وسأل أحدهم عن مسألة وأجابه عنها وقال له لماذا وأخذ يسأله عن العلة يغضب ويقول له أحد علماء الحجاز لعلك من علماء العراق من أهل الرأي هذا ما عندنا وانتهى الأمر.

من أقطاب مدرسة الرأي عبد الله بن مسعود وتلميذه إبراهيم النخعي.
من أقطاب مدرسة الحجاز ابن عمر ابن عباس زيد السيدة عائشة أبي هريرة.

هذا الموضوع هيبئ الأدمغة لفترة هامة جداً هو الجسر الذي يصل الدور الثالث بالدور الرابع.